ـ الصغار الذين يواجهون الدبابة في فلسطين، يفعلون عملا جنونيا، يختارون لحظة مطلقة من المعنى، والقدرة، حرية مركزة وبعدها الموت، يشترون لحظة واحدة بكل حياتهم، هذا جنون، ولكنه جنون جميل لأن اللحظة أثمن من حياة ممتدة في وحل العجز والمهانة.

ـ لا يذهب الدم هباءً!

ـ يا رجل يا طيب، يذهب هباءً حين لا تتحقق نتائج لكل هذه التضحيات. لم تحقق الانتفاضة الأولى شيئا، وستنتهي الانتفاضة الثانية بضرب العراق، وتسوية هزيلة وينغلق الدفتر على دم الشهداء كأنه زهرة أو فراشة مجففة، للذكرى!

صحت في الولد

ـ كف عن هذا الكلام!

كنت أكثر إرهاقا من أن أدخل في محاجَّة أثبت فيها أن دم أخي أصبح ماء.

قام إلى المكتبة، أخذ ثلاثة كتب منها، قال:

ـ سأقرأها بسرعة وأعيدها إليك الأسبوع القادم، تصبح على خير.

لم أعرف ما هي الكتب التي أخذها محمود من المكتبة. كنت أريده أن يذهب ويتركني في حالي. هل أعيد على الولد ونفسي ألف باء الكلام القديم، أحدثه عن شغل الشهداء في الأرض، بعد أعوام وعقود وحقب. حتى لو أصبح دم أخي ماء، فهو ماء مكنون في باطن الأرض، في يوم ما نبع، ويسقي الشجر. يا إلهي أكتب كلاما ركيكا كموضوع إنشائي لتلميذ بليد!

لا أفهم محمود. هل أفهمه؟ أحيانا أقول لنفسي إن محمود واضح فيما يكره ويحب. منفعل بلا لبس وأستحضر ذلك اليوم الذي دق فيه بابي في أول عيد بعد تعرفنا. كان يحمل أعوادا من قصب السكر، وهو صغير نحيل